نظرية الحقول الدلالية دراسة لحقل الحمل والولادة في المخصص لابن سيده الأندلسي ت 458هـ

د.مختار درقاوي قسم اللغة والأدب العربي جامعة الشلف

- **الملخص:**

يسعى البحث إلى التعريف بنظرية مهمة في علم الدلالة البنوي والصناعة المعجمية، وهي نظرية الحقول الدلالية التي تقوم في الدرس المعجمي على أساس تحليل المفردات، بناء على علاقة المعاني بعضها ببعض داخل الحقل الدلالي الواحد، ويركّز البحث على شيئين، الأوّل ذكر أسس النظرية ومقاييسها وتجلياتها في التراث العربي. والثاني: تخصيص مساحة لدراسة حقل الحمل والولادة في معجم المخصص لابن سيده الأندلسي، ونبّه البحث إلى أن نظرية الحقول الدلالية تمثل أنجع حل لضبط الرصيد المفرداتي للمعجم، وأنّها توقفنا على نظام التصورات في أيّة حضارة من الحضارات، وعلى مدى بلوغ أمة من الأمم في مجال من مجالات الرقي العلمي والفكري.

- الكلمات المفتاحية:

تحليل المكونات - علم الدلالة العلائقي – الحقل الدلالي- حقل الحمل والولادة

Keywords:

Componential analysis- Relational Semantics - The semantic field - Field of pregnancy and childbirth

Summary:

The research seeks to introduce the theory of an important and effective in Structuralist Semantics and lexicography, a theory of semantic fields that are in the lesson lexical analysis based on vocabulary, based on the relationship of meanings to each other within the field of semantic one , and research focuses on two things , first mentioned the foundations of the theory and standards and manifestations in the Arab heritage . The second allocation of space to study the field of pregnancy and childbirth in a dictionary Mokhasas to the Ibn Saidah Andalusi , and alerted the search to the theory of semantic fields represents the most effective solution to adjust the words of the lexicon , and it stopped on the system perceptions in any civilization of civilizations , and over the reach of a nation in the area of scientific and intellectual sophistication .

مقدمة:

عرف علم اللغة الحديث عدّة محاولات لوضع منهج يفيد في التحليل الدلالي الوصفي، وأهم هذه المحاولات ما يدخل في إطار نظرية الحقل الدلالي أو المجال الدلالي، تقول هذه النظرية بأن المدخل اللساني (الكلمة) يتحدد دلالته ببحثه مع أقرب المداخل إليه في إطار مجموعة دلالية واحدة، وهذا مؤدّاه أن الحقل الدلالي يتسم ويتميز بالخصوصية التصنيفية، بحيث يراعى فيه وضع المداخل في أنساق بنيوية وفق علائق دلالية مشتركة؛ أي إدماج الوحدات المعجمية المشتركة في مكوناتها الدلالية في حقل دلالي واحد، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية تقع تحت المصطلح العام "لون"، وتضم الأبيض الأسود، الأخضر...

وقد حدّ جورج مونان (G.Mounin) الحقل الدلالي بأنه «مجموعة من الوحدات المفرداتية التي تشكل مجموعة من التصورات المنتمية إلى مفاهيم دلالية تحدّد الحقل»[1]. ويتم تكوين الحقل الدلالي عن طريق رصد المفردات والتصورات المنتمية إلى مفاهيم دلالية أو قطاع متكامل، وهذه القائمة التي تمّ جمعها تشير في النهاية إلى وحدات ترتبط فيما بينها بمفهوم عام وشامل، يقوم بدوره بتحديد المساحة المفهومية لكل وحدة.

وهذا أحالنا على أنّ الحقل الدلالي يعوّل في أدائه التصنيفي على فكرة التضمين أو الاحتواء Inclusion بحيث يراعى المفهوم العام الموحّد للمداخل فالأبيض، والأخضر، والأسود يجمعهم مفهوم عام وشامل يمسح الفضاء الإدراكي بلفظ جامع هو اللون، وبهذا تبيّن أنه لكي تفهم معنى الكلمة يجب أن تفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا؛ أي إنّ موقع الكلمة بين أخواتها في الحقل يعني درجة من تحرير معناها، وهذا الإطار النظري أرشدنا إلى أنّ نظرية الحقل الدلالي نشأت -أساسا- في ظل مبدأ القيمة الذي اقترحه ونادى به دي سوسير.

فقد أوضح أنّ الفرس على طاولة الشطرنج هو فرس ليس بسبب أي صفة وراثية مثل: الشكل والحجم، ولكن بسبب ما يمكن أن يفعله بالنظر إلى القطع الأخرى الموجودة على الطاولة[2]. لقد ركّز على الجانب العلائقي أو الارتباطي Relationnel للغة مؤكدا على أنّ ثمة فروقا فقط لا حدودا ثابتة، وهنا غدت قيمة الكلمة عنصرا واحدا من عناصر المعنى وتزداد فاعلية هذه القيمة عندما تتصل الكلمة بغيرها من الكلمات.وطريقة هذه النظرية في التحليل تتلخص نقاطها في الآتي[3]:

1- إن مجموعة ألفاظ اللغة المعينة مبنية على مجموعة متسلسلة لمجموعة كلمات (أو حقول دلالية)، وكلّ منها يغطي مجالا محددا لحقل المفاهيم (حقول التصورات).

2- كل حقل من هذه الحقول سواء أكان معجميا أم تصوريا يتكون من وحدات متقاربة الدلالة، مثل تجاور حجارات الفسيفساء.

3- إنّ معاني الكلمات تحدد من خلال عددها وموقعها في الحقل الكلي، فلا يستطيع المستمع أن يحدد معنى الكلمة، إذا لم يعرف بقية كلمات الحقل، ومدى العلاقات الدلالية التي تربط بينها.

ولنظرية الحقول الدلالية أسس توظف وأنواع تتفرع عنها، كما لها وظائف إجرائية معجمية متعددة، يضاف إلى ذلك تجليها في التراث العربي بمصطلح مغاير، هو معجمات الموضوعات أو

المعاني، وهي صالحة لتطبق على معجمات الألفاظ وغيرها، ويمكن أن نتبين هذه القضايا من خلال البناءات النظرية والتطبيقية الآتية:

أ الأسس:

لقد حدّد علماء هذه النظرية مجموعة من الأسس، ينبغي أن تراعى في إطار هذه النظرية، وهي[4]:

- لا وحدة معجمية Lexème عضو في أكثر من حقل.
- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معيّن.
- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

يضاف إلى ذلك أنّ اختيار الحقل في الوسط اللساني يحتكم إلى[5]:

1- الحدس: على الباحث أن ينطلق من مدوّنة تم انتقاؤها، وهذا بالضبط ما فعله اللساني الفرنسي جورج مونان (G.Mounin) حينما عكف على حصر ورصد الوحدات الأساسية التي تكوّن بنية الحقل الدلالي للحيوانات الأليفة، فقد اعتمد على تسجيل كل المصادفات التي لها علاقة بالحقل من خلال معايشته للوسط اللساني.

2- مقاييس موضوعية: إن محاولة الاهتداء إلى عمل تطبيقي هادف للحقل الدلالي لا بد أن لا يحتكم فيه الباحث إلى الحدس فقط، وإنما لا بد من أن تكون هناك مقاييس تسهم في حصر الأنساق العلائقية، وتكفل بضبطها، وطبيعة هذه المقاييس قد تكون لسانية وقد تكون فوق لسانية.

والمقاييس الأخيرة هي مقاييس خارجة عن بنية النظام اللساني ذاته، ومع ذلك لا تخرج عن كونها مقاييس موضوعية، فحقل القرابة مثلا يتحدد بواسطة مقياسين غير لسانيين لكنهما موضوعيان وهما القرابة بالمصاهرة والقرابة بالدم، وهذا فرض على العديد من اللسانيين ضرورة التفرقة بين البنية اللسانية والبنية الاجتماعية والثقافية.

أمّا المقاييس اللسانية فهي مستنبطة من النظام اللساني نفسه، فما يقدمه المعجم والتفريع المورفولوجي والتفريع الاشتقاقي من تفسيرات ما هي إلاّ آليات لبناء الحقل الدلالي، وقد ذهب وأكّد حسام البهنساوي إلى أنّ ثمة ضوابط عامة تحكم بناء الحقل تتجلى في ثلاث سمات:[6]

1- السمات الدلالية: حيث يقوم كل حقل على مجموعة من العناصر التصويرية أو السمات الضرورية، التي تشترك فيها وحدات الحقل، هذه العناصر التصويرية لقيام الحقل هي التي تدل عليها سمات الحقول الدلالية.

2- السمات المركزية: هي سمات تتصف بالتدرج، كما هي الحال في تدرج فروق الألوان، وفي تدرج علاقة الطول والعرض.

3- السمات النمطية: وهي سمات تخضع للاستثناء بصورة منفصلة وطبيعتها غير متدرجة فسمة أربعة أرجل في معنى كرسي يمكن أن تستثنى في حالة الكرسي ذي ثلاثة أرجل.

ب الأنواع:

يقسم اللسانيون وعلماء الدلالة المحدثون الحقل الدلالي إلى أنواع، هي:[7]

- الكلمات المترادفة، والكلمات المتضادة على أساس أنّ الكلمة تفسر بضدها، فاللون الأسود يستدعي الأبيض، ويعد جولز A.Jolles أوّل لساني يذهب إلى أن الألفاظ المترادفة والتضاد من الحقول الدلالية.

- الأوزان الاشتقاقية وتسمى أيضا الحقول الدلالية الصرفية، دورها يكمن في تصنيف الوحدات في المجال الصرفي بناء على القرابة الكائنة بينها، ويمكن تمثل هذا النوع أكثر في اللغة العربية فالعلامة الصرفية "مِفْعَل" في مفهومها العام تدل على الآلات المستعملة المتداولة، نحو: مِبْرَد، مِنْجَل، مِقْوَد، مِحْيَط.

- أجزاء الكلام وتصنيفاته النحوية.

- الحقول السنجماتية أو التركيبية تشمل مجموعة الكلمات التي ترتبط فيما بينها بوا سطة الا ستعمال، مع عدم وقوعها في الموقع النحوي نف سه، وقد كان بورزج W.Porzig أوّل من عنى بدرس هذه الحقول، إذ اهتم بالكلمات الآتية:

كلب ← نباح
فرس ← صهيل
زهرة ← تفتح

- الحقول المتدرجة الدلالة، يراد بها وجود تدرج في البناء اللفظي، فقد ترد الكلمات من الأعلى إلى الأسفل، أو العكس، أو تربط بين بناها قرابة دلالية، فالملفوظ إنسان هو مفهوم عام يتضمن مفاهيم صغرى (الرأس، الصدر، البطن، اليد، الرِجل) هذه المفاهيم الصغرى بدورها تتجزأ إلى مفاهيم أكثر دنوا، فاليد تحوي (الإبهام، السبابة، الخنصر، البنصر، الوسطى، الأظافر...).

- تجليات النظرية في التراث:

إنّ محاولة الا ضطلاع بدرا سة معجمية تستند أو تعوّل على الحقول الدلالية أمر قد تنبّه إليه في فترة مبكرة من تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية جماعة من اللغويين، وأقصد بذلك الجماعة الذين صنّفوا ما يسمى بالرسائل اللغوية و بمعجمات المعاني أو الموضوعات، وهي الرسائل و المعجمات التي تمتد جذورها في التراث إلى بداية القرن الثاني الهجري، واكتملت مع بداية القرن الثالث.

ومن المؤلفات اللغوية الصغيرة ذات الموضوع الواحد التي حفظها التراث ونشرها المحدثون نذكر: كتاب "الإبل"، وكتاب "الخيل"، وكتاب "الشاء"، وكتاب "الوحوش"، وكتاب "الفرق"، وكتاب "النبات والشجر" للأصمعي (ت216هـ)، ومثله معاصره ابو زيد الأنصاري (ت214هـ) الذي بقى لنا من مؤلفاته اللغوية ذات الموضوع الواحد: كتاب "المطر"، وكتاب "الهمز"، وكتاب "اللّبأ واللبن"، وكتاب "النوادر في اللغة"[8].

ومن المعجمات التي أخذت بهذه النظرية معجم "الغريب المصنف" "لأبي عبيد القاسم بن سلام" (224هـ) ، ومعجم "المخصص" "لابن سيده الأندلسي" (457هـ) وهو من أهم المعجمات الضخمة التي تطورت في ظلها نظرية الحقول الدلالية، وإطلاق لغوييننا العرب على هذا الاتجاه مصطلح معجمات المعاني مرده الهدف الدلالي الأول الذي تحققه، وأما الإطلاق الثاني معاجم الموضوعات سببه المنهج المتبع في ترتيب مفردات الرصيد اللغوي[9]. وإذا تأملنا الرصيد المعرفي الذي تركه الأسلاف لوجدنا أن الكتب التي تتبع منهج الحقول الدلالية في الموضوع الواحد كثيرة، فنجد مثلا:

- "خلق الإنسان" كتب في هذا الحقل كل من:
- النضر بن شميل(206هـ).
- قطرب(210هـ).
- أبو عبيدة(210هـ).
- أبو زيد(215هـ).
- أبو حاتم السجتاني(255هـ).
- "الحشرات" كتب في هذا الحقل:
- أبو عبيدة كتاب "الحيات والعقارب".
- الأصمعي كتاب "النحل والعسل".
- أبو حاتم السجتاني كتاب "الحشرات والجراد والنحل ..".

وغيرها من المصنفات التي اتخذت من الحقل الدلالي منهجا لها.وهكذا فعل أبو منصور الثعالبي في كتابه "فقه اللغة" فقد خص -مثلا- في باب الكليات الفصل الثاني في ذكر " ضروب من الحيوانات" والفصل الثالث في "النبات والشجر"، والفصل الرابع في "الأمكنة"، والفصل الخامس في "الثياب" والفصل السادس في "الطعام"، وهكذا. يقول الثعالبي في الحقل الذي أفرده في تعديد ساعات النهار والليل : (ساعات النهار) الشروق، ثم البكور، ثم الغدوة، ثم الضحى، ثم الهاجرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح ثم العصر، ثم القصر، ثم الأصيل، ثم العشي، ثم الغروب. (وساعات الليل) الشفق، ثم الغسق، ثم العتمة ثم السدفة، ثم الجهمة، ثم الزُلّة، ثم الزلفة، ثم البُهرة، ثم السَّحر، ثم الفجر، ثم الصبح ،ثم الصباح"[10]. ومع أن هذه النظرية تصلح لأن تكون منهجا نقرأ به النصوص والخطابات فقد وُجّه إليها مجموعة من الآراء النقدية، من أهمها:[11]

- التعريف المتبادل وتحديد معنى الكلمات في محيط الحقل الواحد بناء على علاقتها بغيرها من الكلمات يؤدي إلى صعوبات منطقية حيث يدخل التعريف في دائرة.

- لا توجد حدود خارجية واضحة بين الحقول الدلالية؛ لأن خيوط الربط بين الحقول متصلة وليست منقطعة تماما.

- لم تُبْنَ النظرية على أسس استقرائية، ولا يعدو الحقل أن يكون نموذجا لغويا محتملا.

- نموذج التعريف بالحقل الدلالي في المعجمات الحديثة:[12]

المدخل/المعجم	المنجد	الوسيط	الحديث	الجديد
قبقاب	(ج) قباقب الحذاء من الخشب	النعل يتخذ من خشب وشراكها من جلد أو نحوه (ج) قباقيب	حذاء من خشب له شراك من جلد يمسك بأصابع الرجل (ج) قباقيب	الحذاء من خشب (ج) قباقيب
النعل	(ج) نعال: الحذاء ما وقيت به القدم من الأرض	الحذاء أو الجلد يوقى به الخف (ج) نعال	الحذاء (ج) أنعل ونعال	هو الحذاء (ج) نعال

والنتيجة التي خلص إليها البحث اللساني في معرض حديثه عن نظرية الحقول الدلالية تكمن في أهميتها الكبيرة في المجال المعجمي، وأنها تمثل أنجع حل لضبط الرصيد المفرداتي للمعجم، كما أنّها توقفنا على نظام التصورات في أيّة حضارة من الحضارات، وعلى مدى بلوغ أمة من الأمم في مجال من مجالات الرقي العلمي والفكري[13].

3-2 التعريف بالتحليل التكويني:[14]

التحليل التكويني للمعنى هو أساس لعمل قام به كاتز وفودر، وهو منهج يعتمد في موضوعه على تجزئة الوحدات المعجمية إلى مكوناتها الأساسية؛ بمعنى دراسة البنية الداخلية لمدلول الوحدة المعجمية خارج السياق بطريقة تسمح بالانتقال من العام إلى الخاص. على سبيل المثال مكونات الوحدة اللسانية "رجل" هي: (+ حيوان + عاقل+ ذكر+ بالغ)، ومكونات الوحدة اللسانية "امرأة" هي: (+حيوان + عاقل- ذكر+ بالغ).

حيث المعنى العام للوحدة المعجمية يفسُر بالنظر إلى عدد من العناصر أو المكونات المحددة للمعنى، وهذا ما جعل هذه النظرية تفيدنا وتسعفنا أكثر في تعيين نوع العلاقة الموجودة بين معاني الوحدات المعجمية، كأن تكون علاقة ترادف، أو تضاد، أو تضمن، أو اشتمال، كما أن هذه النظرية في تجزئتها لعناصر الكلمة تعوّل على محددات تكون هي السبيل المعين في تحليل وتبيين العناصر التي تشكل العلامة اللسانية، وذلك من أجل الوقوف على دلالتها؛ أي إنّ المحددات تسمح لنا بأن نرفع الغموض عن اللفظ والجملة عموما، وهذه المحددات هي:[15]

1-المحدد النحوي: الوظيفة المنوط به هي التمييز بين دلالتين لصيغة واحدة بحيث تأخذ إحداها في التركيب وظيفة الفعلية، والأخرى وظيفة الفاعلية.

2-المحدد الدلالي: وظيفته تخصيص معنى شامل لكل تركيب، وذلك يتأتى من خلال الدلالات الفردية للمورفمات[16] التي تؤلفه، وتبعا للطريقة التي تتألف بها هذه المورفمات، ويتميز المحدد الدلالي بأنّه عنصر عام يشترك بين وحدات معجمية أساسية.

3-المميز: هو عنصر خاص ومرتبط بمعنى معين لا اشتراك فيه، ويقع دائما في آخر السلسلة.

ويمكن توضيح المحددات من خلال المثال الآتي:

زيد= إنسان+ ذكر+ بالغ+ أعزب+ علامة بوجهه.

- المحدد النحوي: زيد ـ اسم
- المحدد الدلالي:إنسان، ذكر، بالغ.
- المحدد المميز: أعزب، علامة بوجهه.

وعلى الرغم من إسقاط كاتز الفرق الذي وضعه بين المحدد الدلالي والمميز إلاّ أن الصعوبة ما تزال باقية حول تعميم منهج التحليل التكويني، ولعل ذلك مرده أن عدد المحددات وترتيبها يبدو تحكميا، كما أن المنهج ذاته لا يميز بين الترادف والمشترك اللفظي. ولكي نقف على مدى استثمار هذا المنهج في المعاجم العامة الحديثة ،وعلى قيمته التعريفية قدّم لنا حلام نموذجا مقارنا لحقل المقاعد وكيفية تعريفها في المعاجم العربية ،سنقدم النموذج مع التركيز على ثلاثة مداخل فقط من بين التسعة المذكورة[17] .

المدخل/المعجم	المنجد	الوسيط	الحديث	الجديد	الأساسي
أريكة	سرير مزين فاخر	مقعد منجد	السرير المنجد الفاخر	مقعد مزيّن فاخر	مقعد مزيّن مريح
تخت	مقعد/سرير	مكان مرتفع للجلوس أو للنوم	المقعد/السرير	سرير الملك	مقعد طويل لشخصين أو أكثر / سرير يوضع عليه الفراش
كنبة	/	أريكة منجدة وثيرة تتسع لأكثر من جالس	أريكة منجدة وثيرة تتسع لأكثر من جالس	/	أريكة منجدة تتسع لأكثر من شخص

ويضاف إلى نظرية كاتز وفودر ثلاث طرائق أخرى للتحليل التكويني للمعنى -لم يأت على ذكرها حلام، وهي[18]:

- تقنية تحليل المراجع "بوتيه"Pottier .
- دراسة تعريفات المعاجم "جورج مونان"Georges Mounin.
- الاشتقاق "بيار غيرو" Pierre Guiraud.

أ تقنية تحليل المراجع:

إن تحليل المعنى بتجزئته إلى عناصر في هذه التقنية قائم على ربط اللفظ بمرجعه؛ أي إن هذه التقنية تعوّل على الملاحظة المباشرة في حالة الأشياء الفيزيائية المحسوسة[19]، مثلا الخطوط الخمسة الوثيقة الصلة دلاليا بالوحدة المعجمية كرسي، يمكن تمثلها على شكل

المعادلة الآتية: + له سند + على أرجل + لشخص واحد+ للجلوس+ بمواد تركيب صلبة. ومن أمثلة هذه التقنية في اللسان العربي الآتي[20]:

- لا يُقال كأس إلا إذا كان فيها شرابٌ، وإلّا فهي زجاجة.
- لا يُقال مائدة إلّا إذا كان عليها طعام، وإلّا فهي خِوَانٌ.
- لا يقال كُوزٌ إلّا إذا كانت له عُرْوَةٌ، وإلّا فهو كوبٌ.
- لا يُقال قلمٌ إلّا إذا كان مبريّا، وإلّا فهو أنبوبة.
- لا يُقال خاتم إلّا إذا كان فيه فصٌّ، وإلّا فهو فتخةٌ.
- لا يُقال فروٌ إلّا إذا كان عليه صوفٌ، وإلّا فهو جِلْدة.

وما يميز هذه التقنية أنّها تساعدنا على تحليل العلامة اللسانية التي لها حضور مرئي،في حين لا تستطيع أن تمدنا بأي تفسير للألفاظ التي لا مرجع فيزيائي لها.

ب- دراسة تعريفات المعجم:

يقترح جورج مونان الاستناد إلى المعجم لمعرفة مدى قابلية الوحدات المعجمية وقدرتها على مدّنا بمعلومات عن بنية مفردات اللغة[21]. مثال ذلك في البيئة العربية المفردات الخاصة بالبيوت العربية، يعطينا معجم فقه اللغة للثعالبي مجموعة من السمات الخاصة بالمدلول:[22]

وإذا كانت هذه التقنية تزودنا بمعلومات عن طبيعة العلامة اللسانية إلاّ أنّها في التحليل تطرح مشكلة الرجوع إلى المعجمات، وهذا يعني محدودية التحليل للتعريفات.

الوحدات المعجمية	بيت	على الأرض	من صوف	من وبر	من شعر	من جلود يابسة	من حجر
خباء	+	+	+	-	-	-	-
بجاد	+	+	-	+	-	-	-
فسطاط	+	+	-	-	+	-	-
قَشْعٌ	+	+	-	-	-	+	-
أَفْنَة	+	+	-	-	-	-	+

ج- الاشتقاق:

لاحظ بيار غيرو أنّ تقنية تحليل المرجع وتقنية دراسة تعريفات المعجم ما هما إلاّ صراع بين الشكلانية التي تركّز على الجانب السطحي في تفسير الوحدة المعجمية، والعقلانية التي تركّز على التصورات والعلاقات الذهنية، فكان لا بد من مبدأ ثالث يقف بينهما يكون مميزا لمنطق الأشياء، وقد سمّى بيار غيرو هذا المبدأ بالاشتقاق، والمراد به التعريف أو التصنيف الاشتقاقي للكلمات[23].

والاشتقاق بحث موجه نحو البنية العميقة-من غير إهمال للبنية السطحية- وهذا ما جعل هذه المحاولة تركّز على فرضية أنّ اللغة إنتاج بشري وتاريخي، يحتم علينا البحث عن منطق لساني مختلف عن منطق المناطقة، وعليه فإنّ معنى العلامة اللسانية المنطوقة أو المكتوبة

مرتبطة بمادة اشتقاقها، أي إنّ دلالة الوحدة اللسانية تستلزم ضرورة الأصل الاشتقاقي للكلمة، يقول بيار غيرو:« إنّ الفكرة التحتية للمنهج تكمن في أنّ المضمون المعنوي لكلمة من الكلمات يرتبط بعلاقة مع أصل الكلمة»[24].

فالقيمة الكبيرة التي تمنحها القوانين للباحث اللساني هي أنّ المفاهيم توضع بوضوح عن طريق التحليل الاشتقاقي، وذلك عن طريق إنشاء مفاهيم أو تصورات مُكوَّنة، -في العادة-من السمات العادية للمعنى، والتي تستخدم التدبيرات المختلفة لتشكيل العلامات اللسانية الجديدة المعبّرة عن المظاهر المختلفة لمفهوم الكلمة[25]. فالمادة اللسانية "عرض" تفسر في مدونة ابن فارس "المقاييس" بذكر الدلالة العامة التي نجدها في جميع مشتقات هذا الجذر، يقول ابن فارس:« العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد وهو العرض الذي يخالف الطول، ومن حقق النظر ودققه عَلِمَ صحة ما قلناه»[26].

- عمل تطبيقي يجمع بين نظريتين (الحقول الدلالية والتحليل التكويني):

انطلاقا مما سلف ذكره تبيّن أنّ نظرية الحقول الدلالية تحتاج بعد تحديد ألفاظ المجال الدلالي وجمعها- إلى التمييز الدقيق بين معاني الكلمات داخل الحقل نفسه، وهنا يأتي دور النظرية التحليلية لتمدّ الباحث بأهم السمات أو الملامح الدلالية، سواء تلك الملامح التي تشترك فيها ألفاظ المجال الدلالي أم تلك الملامح التي تميز بين ألفاظ المجال الواحد؛ لذلك عدّ جون ليونز J.Lyons نظرية التحليل التكويني مكملة لنظرية الحقول الدلالية وامتدادا لها[27].

ويمكن أن نبرز هذا التفاعل بين النظريتين من خلال حقل "الحمل والولادة" في المخصص لابن سيده الأندلسي (ت458هـ)[28]:

1- أجْرَأت: المرأة ولدت الإناث.
2- أجْدَجَت: إن سقطت قبل تمام شهوره.
3- أشْعَر: الجنين نبت عليه الشّعر في بطن أمّه.
4- اعتاطَت: المرأة إذا لم تحمل سنين من غير عُقر.
5- أعْسرت: عسُر ولادتها.
6- بِكْر:إن ولدت المرأة بطْنا واحدا.
7- التعضيل: أصله التضييق، يقال عضل المرأة يَعْضُلُها ويَعْضِلُها إذا حبسها عن النكاح.
8- تعَلَّت: المرأة من نفاسه وتعالّت خرجت منه وطهرت وحلّ وطؤها.
9- التصلّق: إذا أخذها الطّلق فألقت بنفسها على جنبيها.
10- التطريق: يستعمل في غير المرأة، يقال: طرّقت القطاةُ إذا حان خروج بيضها.
11- ثوحوح: تصيح.
12- ثَنْيٌ وثِنْيٌ: إن ولدت اثنين.
13- جامِعٌ: امرأة في بطنها ولدٌ.
14- حُبْلى: حامل، والحبل الامتلاء.
15- الحسُّ: الألم بعد الولادة.
16- الحمْل: ما يُحمل في البطون من الأولاد.

17- الخِشْعة: الوَلَدُ يُيْقر عنه بطنُ أمّه إذا ماتت وهو حيّ.
18- الخصُوف: من النساء أن تضع في تاسعها، ولا تدخل في عاشرها.
19- خوى: خويت المرأة إذا ولدت فخلا جوفُها.
20- الذَحَج: ذحجت رمت به عند ولادته.
21- رَحُوم: إذا اشتكت بعد الولادة.
22- الرّرْمُ: الولِاد.
23- الرَكْب: رمت به عند ولادته.
24- زَمَعَت: أي ولدت.
25- السُرُح: إذا ولدته سهلا.
26- سَرَر: ولدت ثلاث بعضهم في إثر بعض.
27- السَطْو: سَطَوت على المرأة إذا أخرجت الولد من رحمها.
28- سَقْطٌ وسِقْطٌ وسُقْط: إذا ألقت ولدها لغير تمام.
29- سَلُوب: المرأة إذا ألقت لغير تمام.
30- شِطْرَة وشَمِيط: إذا كان نصف ولد المرأة ذكورا، ونصفهم إناثا.
31- طَرَّقَت: إذا نَشِب ولدُها في رحمها وقد خرج بعضه.
32- الطَّلْق: وَجَعُ الولادة (المخاض للناس والبهائم، والطّلق للناس)
33- العائذُ: كل أنثى وضعت، توصف به إلى سبعة أيّام.
34- العقيقة: كلّ شعر يكون على المولود حين يولد، من الناس والبهائم.
35- غرّقته: تَرْحَ به أمّه فيختنق فيموت.
36- العَيْلُ: أن ترضعه على حَبَل.
37- قابلة: المرأة القَبول والقبيل.
38- المَأقة: أن يشتدّ بكاء الصبيّ، ويأخُذَه عليه نشِيجٌ.
39- مِئناث: عادتها ولادة الأنثى.
40- مُؤْنِث: إذا ولدت أنثى.
41- مُثْئِم: إذا ولدت اثنين في بطن.
42- المُتِمّ: التي ولدت لتمام.
43- مُثْقَلٌ ومُجِحٌ: إذا عظم ما في بطنها.
44- مُحِشٌ: إذا يبس الولد في بطنها.(خروج الولد من بطن أمه يابسا ميّتا).
45- المَخاضٌ: إذا دنت ولادة المرأة.
46- مِذْكار: عادتها ولادة الذكر.
47- مُذْكِر: إذا ولدت ذكرا.
48- مُرِدٌّ: المرأة في معظم حملها.
49- المَصع:مصعت به؛ أي رمت به عند الولادة.
50- مَرَطَتْ: ولدته

51- مُسْبِع: إذا ولدت لسبعة أشهر.
52- المَشَيّأ: المُخْتلِف الخَلْق.
53- مُعشِر: مُتِمٌّ على الاستعارة.
54- مُعْضِل: إذا اعترض ولدها فعَسُرت ولادتها.
55- مَلَطَت: إذا ألقت لغير تمام.
56- المُمْصِل: التي تُلقي ولدها وهو مُضغة.
57- مُنْهَكَّة: إذا عَسُرَت عليها الولادة.
58- مُوحِد ومُفرد ومُفِذٌ: إذا ولدت واحدا.
59- النَّسءُ: بدء حمل المرأة.
60- ثُعَرَة: إذا استحالت المُضْغة في الرَّحم من أي الحوامل، كان فيه نعرة.
61- وحْمى: إذا اشتهت المرأة شيئا على حملها.
62- الوُضع: الحمل في مُقْبَل الحيض.
63- الوَضْع: وضعت إذا ولدت.
64- اليَثْنُ: أن تَخرُجَ رِجلا الولد قبل يديه.

- العلاقات الدلالية:

أ- علاقة الترادف Synonymy: الألفاظ المترادفة «هي الألفاظ المفردة الدّالة على مسمّى واحد، باعتبار واحد»[29]، ويُفرّق في المدونة العربية بين الترادف والتوكيد، وكذلك بين الترادف والتابع، أمّا الأوّل فالفرق أنّ المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت أصلاً، في حين التوكيد تقوية المؤكد، وأمّا الثاني فإنّ التابع وحده لا يفيد، كقولنا شيطان ليطان، بل شرط كونه مفيدا تقدّم الأوّل عليه[30]، بخلاف اللفظ المراد الذي يفيد دوما، ويتبين من هذا التعريف والفروق ما يأتي[31]:

1- التعبير بألفاظ بصيغة الجمع يفيد أن الترادف يقع بين صيغتين أو لفظين فأكثر.
2- في التعريف إشارة إلى أنّ المتعدد هو الألفاظ والثابت هو المعنى.
3- يربط التعريف الترادف بالألفاظ المفردة، ويوجد الترادف مع الألفاظ المفردة وغيرها.

ويطلق "أولمان "على التَّرادف مصطلح "مدلول واحد – ألفاظ عدة "والمترادفات عنده: "ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق"[32] ويبرز هذا التعريف الدلالي الحديث ثلاث نقاط رئيسة:

أ – المتعدد والمتغير هو اللفظ.
ب – الثابت والمتحد هو المعنى.

وقد أشار فخر الدين الرازي إلى هاتين النقطتين بقوله «أن يكون اللفظ كثيراً والمعنى واحداً»[33]، وهو يعني بذلك الترادف.

جـ - الربط بين الترادف والسياق، فالترادف مشروط بإمكانية التبادل بين الألفاظ المترادفة في أي سياق، والتبادل هنا مطلق، وليس مشروطًا أو مقيدًا بحالة معينة.

وفي النظرية الدلالية المعاصرة لا تكون الوحدتان مترادفتين إلا إذا كان لديهما المعنى البنيوي نفسه والمحدد بواسطة تحليل دقيق[34]، وللترادف في الدرس اللساني الحديث صور، هي:

* الترادف التام Perfect Synonymy: يكون اللفظان مترادفين ترادفا تاما حين يمكنهما تعويض بعضهما في كل السياقات الممكنة، وأمثلته في حقل الحمل والولادة: "المَصع" و"الذَحج" و"الرَكْب" مترادفة ترادفا تاما لإفادتها رمي الولد عند الولادة، وكذلك "السَقْط" و"السَلُوب" دلالتهما واحدة وهي إلقاء الولد لغير تمام، وأيضا "أعسرت" و"مُثْهَكّة" و"مُعْضِل" معناها واحد هو عسر الولادة، وبين "الحَس" و"الرَحُوم" ترادف تام وهو إفادة الألم والشكوى بعد الولادة، وأمثلة هذه الصورة كثيرة، كبين شِطْرَة وشَمِيط يطلقان على المرأة إذا كان نصف ولدها ذكورا ونصفها الآخر إناثا.

* شبه الترادف Near Synonymy: ويكون بين "أخدجت" و"مُمصل" في إفادة سقوط الولد قبل ولادته، وإن كان لفظ ممصل أخص كونه يفيد إلقاء الولد وهو مضغة. ويكون شبه الترادف بين "مُسْبع" و"الوَضْع" في الدلالة على الولادة، وإن كان لفظ "مُسبع" أخص لإفادته الوضع على سبعة أشهر.

ب- علاقة التضاد Opposition: يكون اللفظان متضادين إذا دلا على معنيين متقابلين كالأسْود ضد الأبيض، وحلام يطلق على هذا النوع من العلاقات الدلالية مصطلح الضد، لأنّ التضاد في نظره يراد به اللفظ الواحد الدّال على معنيين متقابلين، كدلالة القرء على الطهر والحيض. ومكتب تنسيق التعريب بالرباط في معجم اللسانيات الموحد ارتضى "التقابل" مقابلا عربيا للمصطلح الأجنبيOpposition [35].

* التضاد الحاد Non gradable Opposition: بين "مُعضل" و"السُرُح"، فاللفظ الأوّل يدلّ على عسر الولادة، والثاني على سهولتها، وبين "مِذكار" و"مئناث"، الأوّل يدل على أنّ عادة المرأة ولادة الأنثى، والثاني أنّ عادتها ولادة الذكور.

* التضاد الاتجاهي Directional Opposition: بين "مَلَطت" و"مُتِمٌّ"، الكلمة الأولى تفيد الولادة لتمام والثانية لغير تمام، وبين "سَرَر" و"اعتاطت"، الأولى تفيد ولادة ثلاثة بعضهم في أثر بعض، والثانية تطلق على المرأة التي لم تحمل سنين من غير عُقر.

* تضاد متدرّج gradable Opposition: بين "مُحِش" و"سُرُح"، الأولى تدل على خروج الولد من بطن أمّه يابسا ميّتا، والثانية على خروجه سهلا حيّا.

جـ- علاقة الاشتمال Hyponymy: وتعني اشتمال "أ" على "ب" والعكس غير صحيح، كالعلاقة بين "المخاض" و"الطّلق"، جاء في المخصص: "المخاض للناس والبهائم، والطّلق للناس [36]".

د- علاقة الاشتراك اللفظي Polysemy: لم نعثر له على مثال في الحقل الذي ذكره ابن سيده.

هـ- علاقة التنافر Incompatibility: تظهر بين "الوُضع" بضم الواو و"الوَضع" بفتحها، الأولى تعني الحمل في مُقبل الحيض، أما الثانية فتعني الولادة.

- حقل: المراحل التي تمر بها المرأة من الحمل إلى الولادة وما يعترضها من ظروف

1. النَّسءُ: بدء حمل المرأة.
2. حُبْلى: حامل، والحبل الامتلاء.
3. المُمْصِل: التي تُلقي ولدها وهو مُضغة.
4. مُثْقَلٌ ومُجحٌ: إذا عظم ما في بطنها.
5. مُرِدٌّ: المرأة في معظم حملها.
6. أحْدَجَت: إن سقطت قبل تمام شهوره.
7. الخِشْعة: الوَلَدُ يُبْقر عنه بطنُ أمّه إذا ماتت وهو حيّ.
8. المَخاضُ: إذا دنت ولادة المرأة.
9. التصلّق: إذا أخذها الطّلق فألقت بنفسها على جنبيها.
10. الطَّلْق: وَجَعُ الولادة (المخاض للناس والبهائم، والطّلق للناس)
11. التطريق: يستعمل في غير المرأة، يقال: طرّقت القطاةُ إذا حان خروج بيضها.
12. مَرَطَتْ: ولدته
13. اليَتْنُ: أن تَخرُجَ رِجلا الولد قبل يديه.
14. الذَحَج: ذحجت رمت به عند ولادته.
15. الرَّكْب: رمت به عند ولادته.
16. السَطْو: سَطَوت على المرأة إذا أخرجت الولد من رحمها.
17. طَرَّقَت: إذا نَشِب ولدُها في رحمها وقد خرج بعضه.
18. سَلُوب: المرأة إذا ألقت لغير تمام.
19. مُسْبِع: إذا ولدت لسبعة أشهر.
20. الخصُوف: من النساء أن تضع في تاسعها، ولا تدخل في عاشرها.
21. المُتِمّ: التي ولدت لتمام.
22. مُنْهَكَّة: إذا عَسُرَت عليها الولادة.
23. رَحُوم: إذا اشتكت بعد الولادة.
24. الحسنُّ: الألم بعد الولادة.
25. تعَلَّت: المرأة من نفاسه وتعالّت خرجت منه وطهرت وحلّ وطؤها.
26. العائذُ: كل أنثى وضعت، توصف به إلى سبعة أيّام.

العلاقات الدلالية:

- الترادف بين: الذحج والرّكب يفيدان رمي المولود عند الولادة.
- التضاد: بين متم وسلوب، في إفادة الإلقاء لتمام وغير تمام.
- الاشتمال: بين المخاض والطلق، الأوّل للناس والبهائم والثاني للناس.

ومما سلف يتضح الآتي:

- يعدّ معجم المخصص لابن سيده الأندلسي من أهم معجمات المعاني التي بَنَت منهجها على نظام الحقول الدلالية، وهو نظام يسعف الأدباء والشعراء وأهل اللغة على الإحاطة باللغة وعلى استقراء واستقصاء المعاني.
- ذكر ابن سيده في حقل الحمل والولادة أربعة وستين لفظا، وفي هذا دليل على أنّ اللغة العربية ثرية ومطواعة، وفي الآن نفسه دليل على أنّ ابن سيده يتميز بحس لغوي رائع فقد تمكن باقتدار الإحاطة بغالبية المفردات التي تشترك في الحقل الدلالي نفسه.
- تميّز العمل التطبيقي بتحقيق مزاوجة وتوأمة معرفية بين ما ذكره ابن سيده في مخصصه وما أمدتنا به نظرية الحقول الدلالية الحديثة من أصول ذات صلة بالتصنيف والترتيب وتحليل العلاقات الدلالية داخل الحقل نفسه.
- أثبت البحث في شقه التطبيقي بأن ألفاظ حقل الحمل والولادة على ما بينها من اتفاق في الدلالة العامة إلى أنّ هناك فروقا دلالية بين عدد كبير منها.
- ومن المؤاخذات التي سجّلت على منهج ابن سيده في بناء الحقل الدلالي، أوّلا: التكرار والاستطرادات، ثانيا: عدم الاهتمام بالتغير الدلالي لألفاظ الحقل، وبذلك افتقد معجمه إلى الجانب التاريخي، وهي خاصية مهمّة للغة، تنمّ عن التطور المستمر الحاصل فيها، وذلك حين يلاحظ المتكلّم أنّ الكلمة لم تعد كما كانت في السابق، بفعل رقي في معناها، أو انحطاط، أو توسع، أو انحسار، أو مجاز، أو مبالغة، أو نحو ذلك. وهذا التغير الدلالي للمفردات يعدّ من الحقائق المقررة لدى اللسانيين المحدثين، وهو أهم مقوم من المقومات التي يقوم على عاتقها صناعة المعجم التاريخي.
- ومن المؤاخذات أيضا على حقل الحمل والولادة في معجم ابن سيده أنه لم يذكر بعض المراحل العمرية التي يمر بها الحمل في بطن أمّه من: نطفة إلى مضغة إلى علقة. مع الإشارة إلى أن هذه الألفاظ جاء ذكرها في الحديث المتفق عليه، في الأثر عن أبي عبد الرحمن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه ، قال : حدثنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال: "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفةً ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك...37".

الهوامش:

[1] –G. Mounin ; Clefs pour la sémantique. Paris. 1972 .p56.

[2] – ينظر: فرديناند دي سوسير ،محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، ص 142–150، وينظر أيضا بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم، ص 111.

[3] – ينظر: أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد كتاب العرب، 2002، دمشق، ص45–46.

[4] – ينظر: حسام البهنساوي، التوليد الدلالي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 16.

[5] – ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص165–166.

[6] – ينظر: حسام البهنساوي، التوليد الدلالي، ص17–18.

[7] – ينظر: أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص16–17. وينظر: أحمد عمر مختار، علم الدلالة، ص80.

[8] – ينظر: رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، ط3، 1995، القاهرة، ص143.

[9] – ينظر: الجيلالي حلام، نظريات من التراث العربي في اللسانيات الغربية الحديثة، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السادس العدد الأوّل، محرم– ربيع الأول 1425هـ، ابريل –يونيو 2004، المملكة العربية السعودية، ص 233.

[10] – أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة، حق:عمر الطباع، شركة الأرقم ، ط1، سنة 1999، الكويت ص291.

[11] – ينظر: فريد عوض حيدر، علم الدلالة –دراسة نظرية وتطبيقية –، مكتبة الآداب، ط1، سنة 2005، القاهرة، ص 174.

[12] – حلام الجيلالي ،تقنيات التعريف ،ص159.

[13] – المرجع نفسه ،ص168.

[14] – المرجع السابق ،ص168.

[15] – ينظر: ميشال زكريا، الألسنية(علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2 سنة 1983، بيروت، ص 213. وينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص116.

[16] – المورفام هو: أصغر وحدة تحمل معنى أو وظيفة نحوية . محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء 1998 القاهرة، ص90.

[17] – حلام الجيلالي ،تقنيات التعريف ،ص170–171.

[18] – ينظر: كلود جيرمان وريمون لوبلان، علم الدلالة، تر: نور الهدى لوشن، ص 71–72.

[19] – ينظر: المرجع نفسه ، ص71–72.

[20] – الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه وعلق حواشيه وقدّم له ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط2، 2000، بيروت، ص59.

[21] – نظر: أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة، حقة:عمر الطباع، ص 77-78.

[22] – المصدر نفسه، ص267-268.

[23] – ينظر: بيار غيرو، علم الدلالة، تر: منذر عياشي ،ص 181.

[24] – المرجع نفسه، ص 182.

[25] – ينظر: كلود جيرمان وريمون لوبلان، علم الدلالة، تر: نور الهدى لوشن، ص81.

[26] – ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة عرض، ص754.

[27] – ينظر: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، ط2001، القاهرة، ص203.

[28] – ابن سيده الأندلسي، المخصص، تح: عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2005، لبنان، 65/1...76.

ننبه إلى أنه اكتفيا بذكر حقل "الحمل والولادة" ولم نشر إلى أسماء ما يخرج مع الولد، والرضاع والفطام والغداء وسائر ضروب التربية، وذلك حتى لا يتشعب البحث ويطول. واعتمدنا المنهج الألف بائي في الترتيب.

[29] – المحصول، فخر الدين الرازي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمود معوض ،المكتبة العصرية ،ط2 ،سنة 1420-1999 المملكة العربية السعودية، 130/1.

[30] – المصدر نفسه ،130/1.

[31] – علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، شعبان هويدي، دار الثقافة العربية، ط1993، ص159-160.

[32] – دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، ط1988، القاهرة، ص109.

[33] – فخر الدّين الرّازي، المعالم في علم أصول الفقه ، تحـ:عادل أحمد عبد الموجود- وعلي محمد معوض مؤسسة المختار للنشر ،ط2 ،سنة2004 ،القاهرة.ص29.

[34] – مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات، ط2002، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. ص146.

[35] – المصدر نفسه: 103

[36] – ابن سيده: 69/1. أخرجه البخاري- كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، (3208)، ومسلم- كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (2643).

[37] – أخرجه البخاري- كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، (3208)، ومسلم- كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (2643).